محاضرات مادة: نظرية العلاقات الدولية

السنة الثانية ليسانس – علوم سياسية

الأستاذ: عبد الغاني دندان

المحور الثاني: المحاضرة: 7

المدرسة الإنجليزية في العلاقات الدولية

لقد تأسس فكر "المدرسة الإنجليزية"English School حول ثلاث مفاهيم مركزية: النّظام الدولي والمجتمع الدولي والمجتمع العالمي، والتي عادة ما يرمز إليها بالاتجاهات الثلاث: الهوبزي والغروشيوسي -نسبة إلى غروشيوس- والكانتي. ويؤسس لهذه الثلاثية بشكل أوضح المقال المرجع لـ "مارتن وايت"Martin Wight حول التقاليد الثلاث لنظرية العلاقات الدولية: الواقعية والعقلانية* والثورية. (أنظر الشكل 4)

الشّكل 5: نموذج التقاليد الثلاثة الكلاسيكية للمدرسة الإنجليزية

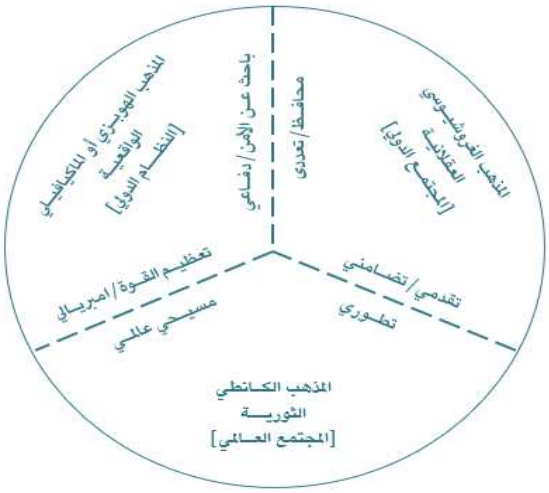

Source: Barry Buzan, *An Introduction to the English School: The Societal Approach* (UK: Polity Press, 2014), 14.

فالمجتمع الدولي [الغرشيوسي/ العقلاني] أو ما يوسم في بعض أدبيات العلاقات الدولية بـ "نظام الدول"States-system أو "مجتمع ما بين الدول" Interstate societyأو مجتمع الدول"Society of state يشير إلى مأسسة المصالح المشتركة والهوية بين الدول، أين يجعل إنشاء والحفاظ على القيم والقواعد والمؤسسات المشتركة ضمن جوهر النظرية في العلاقات الدولية.

* "يؤمن الاتجاه العقلاني من أن البشر أناس يبدعون الأحكام ويطيعونها، وهم على استعداد للحد من رغباتهم الآنية من أجل مصلحتهم ومصلحة مجتمعهم على المدى البعيد. فالسلوك الاجتماعي حسبهم هو نتاج التفكير العقلاني أكثر من الإكراه، وكلما كانت المؤسسات الاجتماعية عادلة وعقلانية، كان هناك اتساق بين مصالح الفرد والمجتمع.ومن خلال هذه الفكرة عن الانسان وعلاقته بالقانون استنبط العقلانيون فهمهم عن المجتمع الدولي. فالخلافات والنزاعات يمكن التوسط فيها وحاها عبر تطبيق أحكام وإجراءات مقبولة عموما. بالإضافة إلى أن المجتمع لا يعتمد على الحكومة؛ فحتى برغم فترات الحروب هناك قدر كاف من النظام دوليا يؤهل لما يمكن أن يوصف بالمجتمع".

كما تدرك المدرسة الإنجليزيـة من جهة أخرى أهمية فهوم كانط الأخلاقية والمعيارية، غير أنها تبقى مُوَازَنَـة برؤيتها النفعية في ظل المجتمع الفوضوي، الذي تظل فيه اعتبارات القوة والمصلحة مهمة. فمفهومها عن "المجتمع العـالمي" World Society يبقى محجوزا في استخداماته لنمط التفكير الكانطي أو الثوري، السّاعي إلى تحقيق كوسموبوليتانية عالمية. وبالتالي، تحويل العالم كما نعرفه إلى مجتمع يقوم على المعايير، مع تقبل واسع للنزعة الأخلاقية. فمفهوم المجتمع العالمي يركز على الأفراد وليس الدول، وبالأساس جميع سكان العالم كجوهر للهويات الاجتماعية العالمية، جاعلا تجاوز نظـام الدول في قلب نظرية العلاقات الدولية.[1]

لقد أكد هيدلي بول على كون كلا من الواقعية الكلاسيكية وحتى الجديدة لا تعير اهتماما كافيا لإطار الأحكام والمعايير وأوجه التفاهم المشتركة التي يستند إليها "المجتمع الدولي الذي يعبر حسبه عن:

> **"مجموعة الدول التي تشكل بفعل وعيها بوجود مصالح وقيم مشتركة محددة مجتمعا في إطار المعنى الذي تفهم من خلاله أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا فيما بينها بمجموعة مشتركة من القواعد والأحكام في علاقاتها بين بعضها البعض، وتشارك في فعاليات مؤسسات مشتركة."**

وعليه، فهو بهذا يؤكـد على عنصر التعاون والتواصل المنظم بين الدول. غير أنه بحسب "أندرو هاريل"Andrew Harril وإن أكد على دور القوة في العلاقات الدولية وانضواء الحرب والقوى العظمى وتوازن القوى والدبلوماسية ضمن أبعاد "مؤسسات المجتمع الدولي"، إلا أنه يميز بوضوح بين مفهوم "النّظام" و"المجتمع" في العلاقات الدوليـة. فيكفي لتحقق النّظام تواصل الدول المنتظم فيما بينهـا، مع قدر من التفاعل يكفي لجعل سلوك إحداها عنصـرا ضروريا في حسابات الأخرى. أما مفهوم المجتمع فيتحقق حين تدرك الدول وتعترف بوجود مجموعة

---

(1) "يشير هيدلي بول إلى أن النظام العالمي أو النظـام بين البشر ككل أوسع نطاقا من النظام بين الدول، فهو شيء أكثر عمقا في أساسه وأبعد زمنا في التاريخ السحيق من نظام الدول، كما أنه يأتي في مرتبة أخلاقية أعلى منه ضمن سلم القيم البشرية، فإذا كان لنا أن نربط أي قيمة بالنظـام في السياسة العالمية، فإن النظام ما بين البشريـة جمعـاء(النظام العالمي) هو الذي يجب أن نعتبر أن له القيمة الأولى، وليس النظام ضمن مجتمع الدول. وإذا كان هناك أي قيمة للنظام الدولي، فهي مرتبطة به لسبب واحد، هو أن هذا النظام ذو فاعلية مهمة في تحقيق هدف إحلال النظـام في المجتمع البشري ككـل."

من القيم والمصالح المشتركة ما يجعلها مترابطة ومتلازمة في ما بينها بفعل سلسلة مشتركة من القواعد والأحكام والأنظمة في علاقاتها البينية. [2]

وتتميز مقاربة بول وفقا لستانلي هوفمان بكونها أعادت لدراسة النّظام الدولي ثلاث عوامل أغفلها والتز والواقعيون في دراستهم للنظام وهي: الأفكار المتخطية للحدود القومية التي يمكن أن تولد معاييراً ومصالح مشتركة بالإضافة إلى المؤسسات الدولية والترابط الدولي؛ بمعنى أن الطريقة التي تمارس بها الدول العون الذاتي تعتمد إلى حد بعيد على درجة الترابط فيما بينها. كما تعتمد كثافة أو عمق المجتمع الدولي على مقدار ما ترتبط به الوحدات من روابط مشتركة، أين يتجلى مضمونه بمحتوى الأفكار والأيديولوجيات والثقافات السائدة فيه.

وفي ذات السّياق، تقف المدرسة الإنجليزية موقفا مختلفا عن تصور الواقعية الجديدة إزاء "النّظام" System بوصفه مولدا للصراع الدائم بين وحداته، أين يرى أنصارهـا أن المجتمع الدولي يسبغه "النّظام" Order من منطلق وجود قواعد وقوانين وأعراف تضعها الدول وتلتزم بتطبيقها أثناء تفاعلها مع بعضها البعض. فحتى الصراع والحرب يقعان ضمن مجموعة ذات صبغة مؤسساتية للغاية من البنى المعيارية-القانونية منها والأخلاقية والسياسية،

> **"فالحرب في حقيقة الأمر ظاهرة معيارية في باطنها، فهي لا يمكن تصور وقوعهـا بعيدا عن القواعد التي يقرر البشـر من خلالها نوع التصرف المناسب لها ويحددون موقفهم حيالها. فالحرب ليست مجرد تصارع قوى؛ بـل هي تصارع بين عناصر المجموعات السياسية من القادرين على تحقيق اعتراف بعضهم ببعض بهذه الصفة وعلى توجيه أحدهما قوته ضد الآخر، لا لسبب إلا للسبب الكامن وراء وجود القواعد التي يفهمونها ويطبقونها".**

فكون الوحدات واعية، يجعل من كيفية بناء تصوراتها عن بعضها البعض هو المحدد المركزي لطريقة تفاعلها؛ فتقاسم الوحدات لهوية مشتركة (دين أو نظام حكم أو لغة) أو حتى مجرد مجموعة من القواعد أو المعايير

---

(2) تجدر الإشارة هنا إلى بروز توافق بين المنظرين المعاصرين العاملين من منطلق المدرسة الإنجليزية على أن التمييز بين النظام والمجتمع غير مجد ويجب الكف عنه. وهذا الاتفاق واضح لأنه ينسحب على كافة المواقف التحليلية التي تعتنقها المدرسة الإنجليزيـة الآن. لقد كان "جيمس"James أول من انتقد ذلك التمييز، وأكد أنه يستحيل تصور نظام دولي لا يتوافق مع المميزات التي ربطها بول بوجود مجتمع دولي. وفي الإطار نفسه، فإن أي تصور هادف للمجتمع الدولي يجب أن ينطلق من الافتراض العام بأن كل عضو في هذا المجتمع سيأخذ في الاعتبار تصرفات الآخرين. ويستتبع ذلك، بنظر جيمس أن بول قد بنى على تفرع غير صحيح، وأفضل خطوة عملية هي إهمال فكرة النظام الدولي لأن البعد الاجتماعي هو ماينبغي الاهتمام به.

(حول كيفية تحديدها لوضعها النسبي أو كيفية تصرفها دبلوماسيا) يجعل فهومها التذاتانية محددة لسلوكياتها وهوياتها. وللإشارة، فإن تفكير المدرسة الإنجليزية عن المجتمع الدولي ينبني أساسا على الدول كوحدات أنطولوجية، غير أنها قوربت بمنطق ابستيمولوجي بنائي ومنهجية تاريخية؛ فالنّظام الدولي لا يمكن ببساطة دراسته حصرا في نطاق مادي على أنه بنية فوضوية لا مركزية تتنوع فيها وحدات غير متميزة وظيفيا وفق مبدأ توزيع القوة كما تدعيه بنيوية والتز، فهو مرتبط بشكل وثيق ومركزي بتركيب نشأ تاريخيا، ولا يزال يتطور، من أفكار التفاهم والأحكام والمعايير والتطلعات المتبادلة.

وفي الإطار نفسه، تنطلق المدرسة الإنجليزية من رؤيتها للمجتمع الدولي والنّظام الدولي والمجتمع العالمي كمجموعة من المفاهيم التحليلية المصممة لفحص البنى المادية والاجتماعية للنظام الدولي. هذه الرؤية التي تتجلى بقوة في أعمال بول خاصة، أين يكون التفكير على هذه المستويات مشابها للمقاربات البنيوية التي اهتمت حصرا بالبنى المادية كإسهامات والتز من جهة، وأعمال فندت التي أسست لمقاربة بنيوية اجتماعية من جهة أخرى؛

فهذه المقاربة لا تحوز بالضرورة أي محتوى معياري بمفهوم تعزيز القيم المفضلة؛ فالمعايير والأفكار تؤدي دورها هنا كأشكال مختلفة للبنية الاجتماعية: ليست كونها نظرية معيارية ولكنها نظرية حول المعايير. إنها حول إيجاد مجموعة من البناءات التحليلية للتنظير ولوصف ما يدور في العالم، وبهذا المعنى تعد مقاربة وضعية على الرغم من كونها غير مادية".

فمفهوم "النّظام" Order كما يحدده وايت يفضي إلى نموذج من العلاقات المستمرة بين الوحدات الفاعلة في المجتمع الدولي التي تحافظ فيما بينها على أهداف مشتركة تجمعها. هذه الأهداف التي حددها بول في الحفاظ على نظام ومجتمع الدول ذاته و حماية الاستقلال الفردي للدول وسيادتها الخارجية، بالإضافة إلى هدف السلام المتعلق بعدم نشوب حرب بين الدول الأعضاء في المجتمع الدولي كحالة طبيعية في العلاقة بينهم، وكذا مجمل الأهداف المشتركة للحياة الاجتماعية كالحد من العنف والوفاء بالوعود وتثبيت أوضاع الملكية بتحديد قواعد التملك وأحكامه.

ويجادل هيدلي بول بأن عنصر المجتمع كان موجودا على الدوام في النّظام الدولي، لأنه من غير الصحيح القول في أي مرحلة أن مفهوم المصالح المشتركة للدول والقواعد المشتركة المقبولة والمؤسسات المشتركة العاملة

وفقا لهذه القواعد قد توقف على أن يكون له تأثير ما. فالحرب والصراع على القوة في تفاعلات الدول مع بعضها على مذهب هوبز، وعنصر التضامن والصراع المتخطيين للحدود القومية كما يرى غروشيوس، وعنصر التعاون والتفاعل المنظم بين الدول كما يرى المذهب الكانطي كلها عناصر مجسدة ضمن النّظام الدولي الحديث.